

الدائرة العروضية عند مصطفى حركات أ. صادق بن القايد د. العربي دحو جامعة باتنة 1

توطئة :

تمثل الدوائر العروضية جزءاً هاماً من النظام الكامل الذي اكتشفه الخليل ، وشاهداً على متانة هذا النظام وتربط أجزائه ، إلا أن بعض الباحثين منذ أمد بعيد أنكروا هذا الجزء من النظرية ، وحجّتهم بُعد التقعيد عن الواقع الشعري ، فلا وجود لمثمن المديد في شعر العرب ، ولا لمسدس الهزج ، ولم يُروى لشاعر نظمٌ في السريع يحمل (مفعولات) ، رغم أن الخليل قدّم مجموعة القواعد الإجرائية التي تربط التنظير في الدائرة بالواقع في الشعر ، يقول إبراهيم أنيس : " والغريب في أمر الخليل ومن نحا نحوه أنهم افترضوا للأوزان أصولاً تطورت أو تغيرت حتى صارت إلى ما روي فعلاً في الأشعار " ¹ . فيما يرى البعض الآخر أنها محض صدفة كحازم القرطاجني الذي يعتقد " أن هذه الانفكاكات التي لهذه الأعاريض من الدوائر أمور عارضة ... لذلك لم يقل بها كثير من العروضيين ، ومن أوردتها فإنما أوردتها على أنها ملحّة عرضية لحقت الأوزان اتفاقاً " ² ولم يكن عمل القدماء على الدوائر يستحق الذكر ، فقد انصب أغلب اهتمامهم في تغيير بعض المصطلحات ، ولا يتجلى الاختلاف بين دوائر القدماء والدوائر في عصرنا إلا في رمز الساكن والمتحرك ، فقد كان يرمز للسكون عندهم بالألف الممالّة ويرمز للمتحرّك بالدائرة الصغيرة .

ومن محاولات التجديد والإضافة عند القدماء والتي نرى فيها بعض الجدية والفائدة محاولة (ابن عبد ربه الأندلسي) في كتابه العقد الفريد ، والذي أضاف على دوائر الخليل علامات على مواقع الزحاف وضوابطه ، يقول في أرجوزته : ³

فما لها من الخطوط البائنة	دلّائل على الحروف الساكنة
والحلقات المتجوفات	علامة للمتحرّكات
والنقط التي على الخطوط	علامة تعدد للسقّوط
والحلق التي عليها ينقط	تسكن أحياناً وحيناً تسقط
والنقط التي بأجواف الحلق	لمبدأ الشطور منها يخترق
والنقطتان موضع التعاقب	ومثل ذاك موضع التراقب

أما عند المحدثين فتعد محاولة (طارق الكاتب) من أهم المحاولات التي تميزت بالجرأة ، فهو يقترح أن تجمع كل البحور في دائرة واحدة سماها : دائرة الوحدة ، وهو عمل خضع لعدد الدراسات واتفق أغلبها على صعوبته وعدم جدواه ، وقلة التنسيق بين أجزائه .

ويعتقد (مصطفى حركات) أن مفهوم الدوائر العروضية " لم يُدرس دراسة كافية سواء من ناحية تعريفه النظري وخواصه الشكلية أو من ناحية ارتباطه بالواقع " ⁴ ، فكانت جهوده في هذا الميدان موجهة إلى هاتين الناحيتين ، وتوّجت في النهاية باختراع نظرية الدائرة العروضية سنة 1978 وأرفقها ببرهان رياضي ، كما تمكن من اكتشاف دوائر عروضية جديدة تضم ما هو مستعمل من الأوزان وتحمّل ما دون ذلك ، وسنفضّل فيها القول في موضعه .

وتكمن أهمية الدوائر حسب رأيه في احتوائها على الميزتين الآتيتين :

- أنها تُظهر لنا أن أوزان الشعر العربي لم تأت إلى الوجود بصفة عشوائية ، وإنما هي داخلية في نظام عام هو النظام الدائري .

- أنها طريقة تعليمية جذابة لمعرفة الأوزان تغنيها عن الحفظ وتمكننا من استنتاج أوزان البحور وتذكرها في حالة النسيان⁵ إن تخصص المؤلف في مادة الرياضيات واهتمامه باللسانيات ، جعله ينظر لبعض المفاهيم العروضية ومنها مفهوم الدائرة نظرة مختلفة يتجلى فيها امتزاج اللغة بالرياضيات ، وهو ما ارتكز عليه في بناء نظريته للدوائر ، ولعل هذا ما يوضحه تعريفه للدائرة العروضية : " الدائرة العروضية مفهوم لغوي إيقاعي لا علاقة له البتة بالمفهوم الرياضي للدائرة التي هي مجموعة من النقط تبعد عن نقطة تسمى المركز بعدا ثابتا"⁶ ، إنما المقصود هو العلاقة الدورانية حيث " نقول عن سلسلتين ق ، ك أنهما مرتبطتان بعلاقة دورانية إذا وجدت سلسلتان أ ، ب بحيث يكون لدينا : ق = أب ،

ك = ب أ ، نرمز للعلاقة الدورانية بالرمز : د ونكتب : ق د ك عندما تكون ق ك مرتبطتين بهذه العلاقة . إذا كان لدينا ق د ك فإننا نقول إن ك ناتجة عن ق بواسطة التبديل الدوراني."⁷ ومنه : " الدائرة العروضية لسلسلة ق هي مجموعة السلاسل التي تنتج عن ق بواسطة التبديل الدوراني . سنرمز لدائرة ق بالرمز: د (ق) مثال : د (وس س) = { وس س ، س س و ، س و س }⁸.

ويبدأ بالتمهيد لهذه النظرية بتوضيح بعض القواعد التي تخضع لها دوائر الخليل بصفة ضمنية وهي :

- أ- التبديل الدوراني يجري على مستوى الأسباب والأوتاد : أي أن الفك ينطلق من أوائل الأسباب والأوتاد ، ولا يجوز أن يجري انطلاقا من ثاني الوتد مثلا ، وهذا يعني أن التدوير خاص بسلاسل الأسباب والأوتاد .
- ب- التبديل الدوراني ينطبق على التفاعيل : إن تصنيف التفاعيل إلى أصول وفروع تنتج عن الأصول بواسطة تبديل دوري معناه أن التفاعيل مصنفة إلى دوائر أربعة (بعدد التفاعيل الأصول) .
- ت - التبديل الدوراني ينطبق على أوزان نماذج البحور : أي لا ينطبق على الأوزان التي دخلتها الزحافات والعلل ، وبصفة خاصة لا يدخل على الأشكال المجزوءة .
- ث - التبديل الدوراني يسبق كل التحويلات : يعني أننا عندما نريد أن نتج وزنا معيناً فإننا نبدأ دائما بالتبديل الدوراني .
- مثال :

لإنتاج وزن مخلع البسيط : مستفعّلن فاعلن فعولن

(س س و)(س و)(و س)

تنطلق نظرية الخليل من وزن الطويل : فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن

(و س)(و س س)(و س س)(و س س)

ثم بواسطة التبديل الدوراني نتج وزن البسيط: مستفعّلن فاعلن مستفعّلن فاعلن

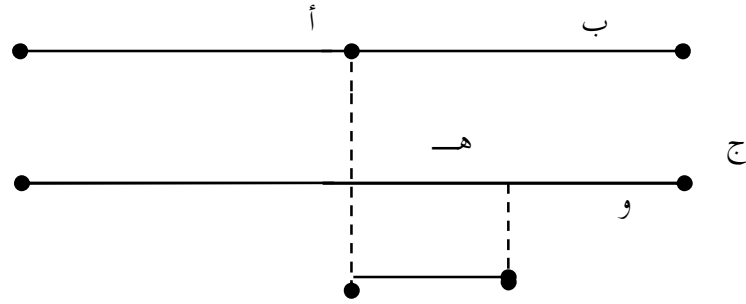
(س س و)(س و)(س سو)(س و)

ثم بواسطة التجزئ تذف التفعيلة الأخيرة من الشطر، وأخيرا يُطبق لزوما الخبن والقطع على العروض والضرب ، ولا يجوز عند تطبيق هذه السلسلة من التحويلات تقديم التجزئ أو الخبن والقطع على التبديل الدوراني⁹ .

دائرة سلسلة دورية :

لو بحثنا عن عدد عناصر دائرة سلسلة ق لخليل إلينا أن هذا العدد يساوي طول السلسلة ق أي عدد مواقعها، فمثلا (و س س) سلسلة طولها 3 ، وعدد عناصر دائرتها مكون من كل الوحدات التي تنتج عن تبديل دوري للمواقع الثلاثة ، وهذا العدد هو 3 . إذا كانت ق تحتوي على ن موقع فإنه يظهر لنا أن د (ق) تحتوي على ن عنصر، ولكن إذا

320



لنفترض الآن أن لدينا ثلاث سلاسل ق ، ك ، ل بحيث :

ق = أ ب ، ك = ب أ من جهة . أي أن : ق د ك

و ك = ج هـ ، ل = هـ ج من جهة أخرى . أي أن: ك د ل

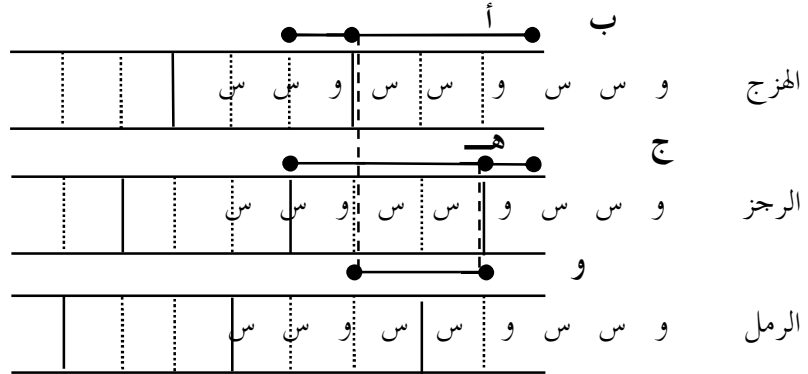
المساواة ك = ب أ = ج هـ تثبت لنا أنه توجد سلسلة و بحيث :

ب = ج و هـ = و أ ، وذلك بفرض طول ج أصغر من طول ب¹²

ومنه فإن ق = أ ب = (أ ج) (و) ، ل = هـ ج = (و) (أ هـ)

مما يثبت أن ق د ل¹³.

ينجلي الأمر أكثر إذا أرفقنا بهذا التعقيد ما يقابله على الدائرة ، ولتكن دائرة المحتلب التي رأسها الهزج ، وزيادة في التوضيح سنفك الارتباط الدائري ونجعلها خطا مستقيما مع العودة إلى البداية عند انتهاء القراءة ، ولأن التفعيلات ستتغير سنحاول التركيز على مستوى الأسباب والأوتاد .



ب = ج و

هـ = و أ

تنطبق هذه التركيبية على جميع الأوزان ، كما أنها آلية رياضية مثالية لفك الأوزان من سائر الدوائر ، والتنظير الرياضي لها يعد سابقة رغم مضي أكثر من اثني عشر قرنا على وجود العروض .

ونمضي الآن إلى البرهان على " أن الدائرة العروضية هي صنف تكافؤ ق حسب العلاقة الدائرية د"¹⁴ بإضاءة مفهوم صنف التكافؤ : وهو علاقة تقسم مجموعة إلى عدد من المجموعات الجزئية حيث يصير كل عنصر من المجموعة الأصلية عنصرا من مجموعة جزئية واحدة بالتحديد ، أي لا يمكن أن ينتمي إلى مجموعتين جزئيتين اثنتين في نفس الوقت.

وللتبسيط نسوق المثال الآتي : ج هي مجموعة الأعداد الطبيعية من 1 إلى 20 التي يمكن أن نقسمها إلى مجموعتين جزئيتين ، إحداهما تمثل الأعداد الفردية : (1 ، 3 ، 5 ...) والثانية تمثل الأعداد الزوجية : (2 ، 4 ، 6 ...) فكل من

عناصر المجموعتين ينتمي إلى المجموعة ج ولكنه لا ينتمي إلى المجموعة الجزئية الأخرى ، ويعد عنصران من مجموعة متكافئين إذا وفقط إذا انتميا إلى نفس المجموعة الجزئية .

يقول : " إذا كانت ق ك سلسلتين و ن عددا طبيعيا ، فإن لدينا التكافؤ :

ق د ك == ق^ن د ك^ن حيث د هي العلاقة الدائرية

البرهان : لنفرض أن ق د ك ، توجد إذن سلسلتان أ ، ب بحيث :

ق = أ ب ، ك = ب أ

ومنه : ق^ن = (أ ب)^ن = أ^ن (ب أ)^{ن-1} = ب^{1-ن} = ب

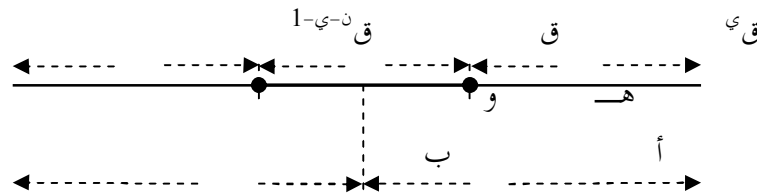
ك^ن = (ب أ)^ن = ب^ن (أ ب)^{ن-1} = ب^{1-ن} أ

إذا وضعنا : س = (ب أ)^{1-ن} ب فإننا نحصل على :

ق^ن = أ س ، ك^ن = س أ أي : ق^ن د ك^ن

لنفرض الآن أن ق^ن د ك^ن أي ق^ن = أ ب ، ك^ن = ب أ

المخطط الآتي



يبين لنا أنه يوجد عدد طبيعي ي محصور بين 1 و ن ، والسلسلتان : هـ ، و تحققان ما يلي : أ = ق^ن هـ ،

ب = و ق^{1-ن} هـ ، ق = هـ و

يمكننا أن نكتب :

ك^ن = ب أ = و ق^{1-ن} هـ = ق^ن هـ = و ق^{1-ن} هـ = و (هـ و)^{1-ن} هـ = و هـ^{1-ن} هـ = و هـ^ن هـ

ومنه : ك = و هـ

وبالمقارنة مع ق = هـ و ، نرى أن ق د ك¹⁵

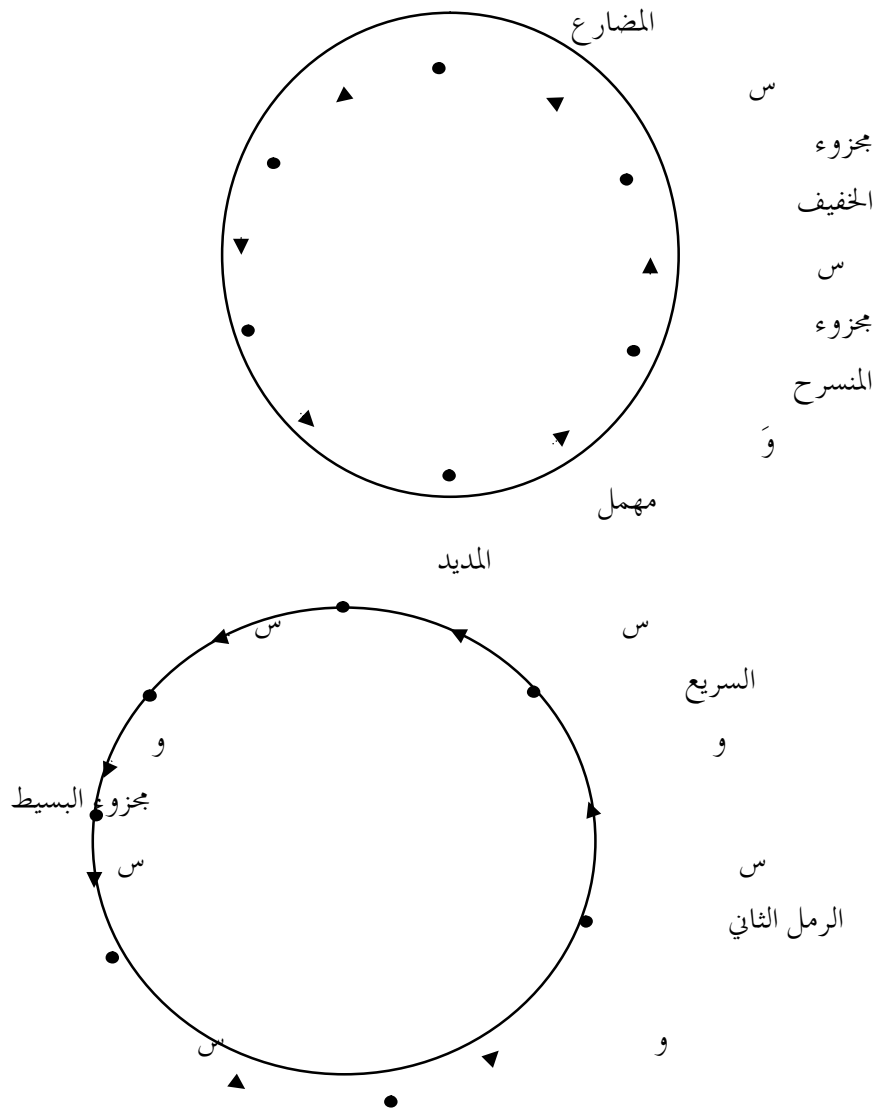
الدوائر العروضية الجديدة لـ (مصطفى حركات) :

ذكرنا في موضع سابق أن جهود حركات في مجال الدائرة العروضية اتجهت إلى اتجاهين ، أولهما اكتشاف نظرية الدائرة العروضية ، والآخر هو اكتشاف دوائر جديدة . والحق أن فكرة ابتكار دوائر جديدة تعرضت على الدوام للنقد القوي ، وبخاصة في العصر الحديث . والأساس الذي بنى عليه حركات هذا الاكتشاف هو مراعاة الواقع الشعري الذي يفرضه الشعراء بنظمهم على أوزان أو أضرب دون الأخرى من جهة ، وإمكانية إخضاع هذه الأضرب إلى العلاقة الدورانية ، رغم انتسابها إلى دوائر خليلية مختلفة من جهة أخرى.

وللوصول إلى ضبط مفهوم الواقع الشعري أو التحقيق كما يسميه ، قام المؤلف بجهد كبير في استقراء الأوزان التي اختارها فحول الشعراء ، وأنجز العديد من الإحصائيات والنسب .

ويبدأ بالسؤال : " هل العلاقة الدورانية التي تسير النماذج النظرية موجودة على مستوى النموذج الفعلي للبيت ؟ ... للإجابة عن هذا السؤال يمكننا أن ننظر إلى جميع أضرب الشعر وأن نبحت عن العناصر المتكافئة دائريا ، ولكن أضرب الشعر لا تختلف أحيانا إلا بواسطة حرف وأحيانا بواسطة حركة ... كما أننا سنهمل كل الأشكال غير المستعملة سواء كانت بحورا غير مستعملة أو أصولا لا تستعمل إلا مجزوءة¹⁶ :

- أ - دائرة الطويل : (و س و س س) تحتوي على بحر مستعمل واحد هو البسيط التام (س س و س ب)
- ب - دائرة الوافر : (و س س) تحتوي على الكامل (س س و) ⁶
- ج - دائرة مجزوء الوافر : (و س س) تحتوي على مجزوء الوافر (س س و) ⁴
- د - الرجز : (س س و) ⁶ التام والرمل التام (س و س) ⁶ ينتميان إلى دائرة واحدة
- هـ - دائرة الهزج : (و س س) ⁴ تحتوي على الرجز المجزوء والرمل المجزوء
- و - دائرة المنسرح التام : تحتوي على الخفيف التام
- ز - المتقارب وحده في دائرته
- ح - والمتدارك أيضا وحده في دائرته
- ط - دائرة المضارع : ((و س س)(س س)) ² تحتوي على المقتضب والمجث و مجزوء المنسرح ومجزوء الخفيف .
- ي - دائرة المديد : ((س و س)(س و س)(س و س)) ² تحتوي على مجزوء البسيط والسريع ((س و س)(س و س)(س و س)) ²



إن ابتكار دوائر عروضية جديدة متعلقة بالواقع الشعري هو عمل مميز حقا ، وهي نظرة لم يسبقه إليها أحد ، إلا أن بالإمكان مناقشة هذه الدوائر بالنقاط الآتية :

1- الفصل بين المتقارب والمتدارك ، وهو امتداد لنظرة المؤلف للتفعيل فاعلن ، التي يرى أنها تتكون من سبب ثقيل متبوع بسبب خفيف ، وحجته في ذلك أنها لم ترد بهذا الشكل في أي شعر ، وإنما ترد دائما على أحد الشكلين : فعِلن (سَ س) أو فعْلن (س س) بإضمار السبب الثقيل ، وأن تفاعيل المتدارك تشبه إلى حد كبير تفاعيل الكامل التي أصابها الحذف (حذف الوند في نهاية التفعيل).¹⁷ ولكن هذا القول يناقض رأيه عند حديثه عن مفهوم التعليم MARQUAGE حين يقول : " سنختار الوند كعنصر معلم ونقول إن الوند يعلم التفعيل ، وهذا التعليم إما أولي وإما وسطي وإما نهائي"¹⁸ ومثل للتعليم النهائي بـ فاعلن التي ترد في البسيط والمديد ، ولا نعلم الفرق بينها وبين فاعلن المتدارك ، كما أن إدخال السبب الثقيل على بنية هذه التفعيل يخل بالنظام الدائري في الدائرة الخامسة ، على الرغم من أن التحليل عد المتدارك شاذاً ، لذلك جعله المؤلف في دائرة لوحده .

2- لا وجود لمجزوء المنسرح - فيما نعلم - بل هناك المنهوك ، لأن للمنسرح ثلاثة أعاريض وأربعة أضرب : العروض التامة الصحيحة ، والمطوية ، والمنهوك الموقوفة (مفعولات) والمنهوك المكسوفة (مفعولن).

3- لم يدرج في دوائره بعض الأضرب المستعملة الأخرى كمجزوء المتقارب ومجزوء السريع .

4- حدد المؤلف من قبل أربع قواعد ضمنية بنى عليها التحليل دوائره¹⁹ ولم يأخذ باثنتين منها : القاعدة الثالثة التي تقول إن التبديل الدوراني ينطبق على نماذج البحور (سالمة من الزحاف والعلة) ، والرابعة التي تنص على أن التبديل الدوراني يسبق جميع التحويلات ، أي عندما نريد أن ننتج وزنا معيناً فإننا نبدأ دائماً بالتبديل الدوراني ، وهذا يذكرنا بأن النموذج هو الأصل والضرب هو الفرع.

5- تتعلق هذه النقطة بقضية المصطلح ، فقد سَمَّى المؤلف : مجزوء الخفيف ، مجزوء الرجز ... وهذا إقرار بأن هذه المجزوءات إنما هي متفرعة عن بحور أصول ، وكان بالإمكان إعطاء أسماء أخرى لها .

ويكمن التميز في هذه النظرية باقتراحها الواضح من الكمال والتناسق مقارنة بكل المحاولات التي طرقت الدوائر ، وبخاصة إذا علمنا أن الفكرة انطلقت من تطبيق مبدأ التبديل الدوراني على أوزان من فئات متباينة ، بعد أن اقتصر عند التحليل على محور الدائرة الواحدة ، ونعتقد أن هذا العمل إنما ينبع من النظر إلى مفهوم الدوائر من زاوية لم يصل إليها الباحثون من قبل ، بل إن أغلبهم لا يعتد بها ، في حين أن (حركات) أثبت أن لها ارتباطاً وثيقاً بالواقع الشعري .

الهوامش :

¹ إبراهيم أنيس ، موسيقى الشعر ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، ط 4 ، ص 63

² حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تح : محمد الحبيب ابن الخوجة دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان ، ط 2 ،

1981 ص 232

³ ابن عبد ربه الأندلسي ، العقد الفريد ، شرح: أحمد أمين ، مطبعة لجنة التأليف ، القاهرة ، 1946 ، ج 5 ، ص 438

⁴ مصطفى حركات ، كتاب العروض ، ص 129

⁵ مصطفى حركات ، قواعد الشعر ، ص 17

⁶ مصطفى حركات ، المعجم الحديث للوزن والإيقاع ، دار الآفاق ، الجزائر ، 2008 ، ص 54

⁷ مصطفى حركات ، المعجم ، ص 54

⁸ مصطفى حركات ، كتاب العروض ، ص 132

⁹ مصطفى حركات ، نظرية الوزن ، ص 279 280

¹⁰ مصطفى حركات ، كتاب العروض ، ص 133 134

¹¹ م ن ، ص 144

¹² ينطبق هذا على المفك سواء كان سببا أو وتدا ، فهو أقصر من باقي مكونات التفعيلة : مس أقصر من تفعلن

¹³ مصطفى حركات ، كتاب العروض ، ص 144 145

¹⁴ م ن ، ص 145

¹⁵ م ن ، ص 146

¹⁶ مصطفى حركات ، قواعد الشعر ، ص 145

¹⁷ مصطفى حركات ، نظريتي في تقطيع الشعر ، ص 67

¹⁸ مصطفى حركات ، كتاب العروض ، ص 56

¹⁹ م ن ، ص 130

المصادر والمراجع :

- أنيس إبراهيم ، موسيقى الشعر ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، ط 4 .
- القرطاجني حازم ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تح : محمد الحبيب ابن الخوجة دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان ، ط 2 ، 1981 ،
- الأندلسي ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، شرح : أحمد أمين ، مطبعة لجنة التأليف ، القاهرة ، 1946 ، ج 5
- حركات مصطفى ، قواعد الشعر ، دار الآفاق ، الجزائر .
- حركات مصطفى ، كتاب العروض ، دار الآفاق ، الجزائر .
- حركات مصطفى ، المعجم الحديث للوزن والإيقاع ، دار الآفاق ، الجزائر .
- حركات مصطفى ، نظرية الوزن ، دار الآفاق ، الجزائر
- حركات مصطفى ، نظريتي في تقطيع الشعر ، دار الآفاق ، الجزائر